

## جولات ومشاهدات

### في مدينة الأزهر

بقلم الأستاذ م . محمد عبد الكريم

#### الدراسة والحسين . . :

وأهوى حوذي السوارس على بغليه بالسوط ، وسارت العربية تترنخ بما حملت من ذوات  
البراقع السود وخليط من لابسى الطواقى واللاسات والمعممين والمطربشين تجتاز بنا شارعى  
المغربلين والفورية فى طريقها الى حى الحسين .

وجعل صديق يشرح معالم ما حولنا من الأبنية الأثرية :

هذه بوابة المتولى أو باب زويله الذى شق عليه طومان باى نائب السلطان الفورى حين  
غدر به السلطان سليم بعد أن أمنه على حياته ووقف منه على ما يهم لإدارة شؤون البلاد ،  
وذلك مسجد السلطان الفورى الذى قضى وهو يدافع عن مصر ومات تحت أقدام الخيل  
فى مرج دابق .

وسكت صاحبي بغاة . قلت ما أسكتك ؟ قال وهو يهز رأسه : يالها من أيام ... أتذكر  
حين كنا نجوب هذا الحى كل يوم فى طريقنا الى مدرستنا الابتدائية خليل أغا ... تأمل : هذا  
محل الراعى ... وذلك محل السرجانى الصائغ ، وأمامك الصبيان بائع المقصبات ... كل منها  
لارال بمكانه كما كان منذ عشرين عاما ولكن أين عبد الكريم حسن الحلوانى وأين الحمصانى  
يحبته الزاهية وعمامته المتبرجة ؟ وأين الحاج كاظم الذى كان يدير مقصف مدرستنا ، بل  
أين المدرسة ذاتها ؟ لقد هدمت فيما هدم لتوسيع الأزهر ... قلت : هى الدنيا لا تلبث  
على حال ، جيل يفتدو وجيل يروح ، وديارتبنى وأخرى تزول ... وسبحان من له الدوام .  
ووقفت أمام بناء الأزهر الشاىخ أتأمل جديده وقديمه . ومال على صاحبي يسألنى هل  
سأعرض للأزهر فى مقال ؟ قلت نعم . قال : هذا باب يخشى الكثيرون طرده . قلت : أطمئن  
يا أحمى فنحن نكتب ما نشاءد ، فإن أشرنا إلى تقص فلا غاية لنا الا تلافيه ، وإن من نعم  
الله على البلاد أنولى على الأزهر خير من ينهض بأمره ويعنى بتحقيق كل ما فيه إصلاحه .

وصعدت الى ادارة الأزهر قاصدا اتشرف بمقابلة فضيلة الشيخ الأكبر فلم يسعدنى لفظ بلقائه اذ كان فى عمل خارج الدار . فاكتفيت بمقابلة الأستاذ خالد بك حسين كبير المفتشين الذى قدم الى رسالته فى " التجديد فى الأزهر " وهى رسالة قيمة أنارت لى سبيل البحث الى حد بعيد .

### فى أروقة الأزهر :

كان درس اليوم قد انتهى ، وأبى بعض الطلبة الشوام فى نخوة عربية الا أن أحضهم الى الرواق . ويقع رواق الشوام فى الناحية القبيلة للجامع ، ويقابله شارع الأزهر الذى استبدل باسمه اسم شارع الشيخ محمد عبده ، وشارع البيطار الذى يحمل اليوم اسم المقرئى وهذا التبديل حسنة نذكرها لمصلحة التنظيم ونرجو أن تدير فى كاهه الأحياء على هذا النهج الصالح .

ويضم رواق الشوام خمسة وستين طالبا فى ثلاث عشرة حجرة ، جلست الى بعضهم بين أسرهم المتواضعة وأمتعتهم البسيطة ، ومضوا يصفون لى حياتهم ومدى المساعدة التى ينالونها من الأزهر . فعلمت أن الطالب منهم يتقاضى ثلاثين قرشا كل شهر يضاف اليها ما يرسله له ذووه ، كل حسب حاله . وقد شكوا الى إغفال نظافة الرواق وتساقط الماء أحيانا على أمتعتهم . والحق أنى لمست صحة هذه الشكوى . فالحجرات والطرق تملأ حائتها على أن فرشاة الطلاب لم تمسها منذ أمد بعيد ، ودورة المياه لا تكاد ترى ما فيها لفرط ظلمتها . وقد سألت الطلبة هل يأتىكم زائرون غرباء ؟ قالوا : كثير ، وقد زارنا أخيرا أستاذ بجامعة أكسفورد فما أن بلغ سرداب الدورة حتى وقف عن السير وعاد أدراجه .

وانتقلت الى رواق الاتراك والمغاربة فوجدتهما لا يختلفان فى شىء عن رواق الشوام . وطبقة الأزهر الغرباء يعتمدون على أنفسهم فى كل شىء إذ يتولون إعداد طعامهم وتنظيف حجراتهم بأيديهم ، وهم فى صلاتهم بعضهم ببعض مثل حى فى التعاون والتراحم .

### فى المباني الجديدة :

طيب الله برحمته ثرى مليكنا الراحل فؤاد الأول وحفظ للبلاد شبله العظيم . هذه مباني الأزهر الجديدة أثر من آثاره ، وهى نواة مدينة الأزهر : عمارات ثلاث شيدت على طراز عربى جميل ، تضم جوانبها معهد القاهرة بقسميه الابتدائى والثانوى ، وتستخدم الطبقة الأرضية منها مساكن لفريق كبير من الطلاب الغرباء .

قصدت إلى الغرباء فى مساكنهم وبدأت بأبناء اليمن وعدن . دخلت عليهم وكانوا يتناولون الشاى فأبوا إلا أن أشاركهم فى شرايبهم وسألت كبيرهم : هل أتم واجدون راحتكم فى هذه الديار ؟ فقال : نشكر إخواننا المصريين على كل حال . وأدرت من عبارة الرجل

أن بنفسه ما يخفيه . قالت ما يفتلك يا صاح ؟ قال . نحتاج إلى عناية ، ينقصنا فزاش لخدمة حجرتنا ، والإدارة في هذه الغرفة كما تراها مصباح كهربائي واحد اشتراه أحد الطلبة من ماله الخاص بعد أن طالبنا كثيرا بالمصباح ، ونحن في المساء نتراحم حول النور وكثيرا ما تؤدي هذه الحال إلى الخلاف . هذه شكوى اليمين أثبتنا ويقيني أن إجابة الطلبة إلى مطلبهم أمر هين على إدارة الأزهر التي لانشك في عطفها على الغرباء خاصة .

وانتقلت إلى مساكن الصيدين فقابلني أحدهم فأنبأته بغايته ، فبرز رأسه دون أن ينطق بشيء ، ومضى إلى خزانة كتبه وجاءني بكأين ، أحدهما عن الحرب اليابانية الصينية والآخر رسالة من بمئة الإخاء الصينية إلى العالم الإسلامي . ثم عاد إلى كتاب أمامه فأخذ يقلب في صفحاته حتى وصل إلى صورة وضعها أمامي وقال بكلمات بطيئة متقطعة وهو مشير إلى الصورة بأصبعه "الإسلام يعتر هذا" وكانت الصورة صورة مليكا الفاروق أعزه الله الذي يتولى الانفاق من جيب جلالة الخاص على بعثات البلاد النائية ومنها البعثة الصينية التي تحمل اسمه الكريم تيمنا وتقديرا .

وطرقت بابا مجاورا لمجرة صاحبنا الصيني فإذا بي بين فريق من الطلبة التركستانيين . شباب يتقد ذكاء ورغبة في العلم . حدثني أحدهم في طلاقة عن التركستان بالأمس وما آلت إليه اليوم تحت نظام الحكم الشيوعي . قلت إذا كانت بلادكم في هذه الأيام لا تدين بدين فأين تطبقون أصول الدين الذي تتعلمونه ؟ قال : في المهجر ، في الهند وفي غير الهند حتى يقضى الله فترول الشيوعية من بلادنا .

وأبناء التركستان موفدون إلى مصر تحت رعاية الجمعية التركستانية للهاجرين بالهند ، وقد تكفلت بنفقات انتقلهم إلى هذه الديار ، وهم يعيشون مما يجريه عليهم الأزهر من الأرزاق : جنيه واحد لكل طالب ، ولا ندرى كيف يكفى هذا الجنيه لسد مختلف الحاجات .

### عصبة الأمم الإسلامية :

يضم الأزهر وملحقاته بالقاهرة من الطلبة الغرباء ما يزيد على الستائة طالب ينتمون إلى ست وثلاثين دولة . وأكثر الغرباء عددا المغاربة من أبناء طرابلس وتونس ومراكش والجزائر ، ويلهم الشوام فالسودانيون فالأتراك فالجاويون . وبين الطلبة عدد غير قليل من الأحباش واليمنيين والصينيين والنيجيريين والأكراذ والتركستانيين والعراقيين والمجازيين . وهناك طلبة من الهند والأفغان ودارفور ومن جنوب أفريقيا ومن اليابان .

وقفت في طرقات مساكن الغرباء وكأنما وقفت بعرفات... شباب وشيوخ اختلفت أشكالهم وتباينت لهجاتهم ؛ تركوا بلادهم النائية وقصدوا إلى بحر الأزهر الزاهر يرتشفون من منهله ويفترقون من فيضه .

هذا الجيش من الطلاب سوف يعود أفراده كل إلى وطنه حاملا ذكرياته عنا ناظلا ما شاهده في ربوعنا . وهؤلاء جميعهم السنة دعاية ستكون لنا أو علينا فإ أولانا بإكرامهم وما أحرانا بمساعدتهم والترفيه عنهم .

أقول هذه الكلمة لا لإدارة الأزهر وحدها ، فقد يقال إنها تؤدي ما عليها في حدود مالياتها ، وإن كنا نظن أن إزالة أسباب شكوى الغرباء فيما يتعلق بالخدمة والانارة لن يرقح الميزانية في شيء ، وإنما أتوجه بكلمتي أيضا إلى أبناء الأمة وخاصة شبابها . أسأل الشباب أن يزوروا الطلبة الغرباء في مساكنهم ، وأن يتعرفوا إليهم ويعملوا ما استطاعوا لمعونتهم . وإن أمني هذه لتكبر كلما ذكرت أن بين الغرباء اليوم من انقطع مورده بسبب حالة الحرب القائمة فأصبح في عسر شديد . وقد شاهدت بعيني رأسى آثار البؤس والفاقة بادية على الكثيرين . وقد تحدثت الصحف طويلا عن حالهم وقام بعض ذوي النخوة من علماء الأزهر بتأليف لجنة لجمع التبرعات لهم ، ولكن ما جمع لازال يسيرا جدا فواجبنا جميعا أن نمد إلى هؤلاء يد المعونة ، فليس أحق بالعطف من طالب علم يموزه القوت وهو غريب .

### التجديد في الأزهر :

إن زائر الأزهر اليوم ليأخذ العجب لما وصل إليه الأزهر من تقدم وإصلاح سواء في قوانينه وأنظمته أو في بنائه وأمكنته .

تقدم الأزهر بفضل رعاية الأسرة العلوية الكريمة وعناية رؤسها من ولاية وملوك — حتى سنة ١٨٧٢ صدر أول قانون ينظم نيل الشهادة العالمية ، وأتبع هذا القانون بآخرين أحدهما عام ١٨٩٧ والثاني عام ١٩١١ ، وقد تناول الأخير الدراسة وجعلها مراحل ذات نظم خاصة وعلوم معينة وزاد في مواد الدراسة وحدد اختصاص الشيخ الأكبر ، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر وهي مجلسه الأعلى .

فلما ولي المغفور له الملك فؤاد الأول — وكان أفاقه الناس برسالة الأزهر وما لهذه الجامعة من بالغ الأثر في المحيط الاسلامي — أمر رحمه الله بمراجعة أنظمة ذلك المعهد الكبير وقوانينه وكان ما أراد ، فوضع للإصلاح قانونان صدر أحدهما عام ١٩٣٠ وصدر الآخر عام ١٩٣٦ ، وقد قسم التعليم بموجبهما إلى مراحل ابتدائية وثانوية وعالية ، وأدخلت العلوم الحديثة في شكل أوسع ، ونظمت كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية ، وأعدت أقسام لإجازات القضاء الشرعي والدعوة والإرشاد والتدريس وأخرى للتخصص .

وقد كان من مآثره رحمه الله أن أمر بإصدار مجلة تنطق باسم الأزهر ، وهامى اليوم تحمل اسم "مجلة الأزهر" وقد بلغت بفضل رعاية فضيلة الشيخ الأكبر وعناية رئيس تحريرها الفاضل الأستاذ محمد فريد وجدى شأوا كبيرا في مصر وفي العالم الاسلامي كله .

وقد اقترن التجديد في الأنظمة بتجديد آخري الأنية . فعمل جلالة المليك الراحل على إنشاء مدينة الأزهر . وترسم مليكا الفاروق حفظه الله خطوات والده الموفقة ، فرعى بنياته مشروعات الجديد ، وزعت منكية الأرض المحيطة بالجامع لإنشاء قاعة للاحتفالات ومكتبة ومستشفى للطلاب . ولم تقف جهود الفاروق عند توجيه الحكومة إلى هذا النهج الصالح بل شاء أن يسذل من جيبه الخاص في سبيل الإصلاح ما يذكر له دواما بالشكر والاعجاب إذ فرش الجامع بسجاد فاخر ، وأمد البعوث الوافدة من أقطار نائية بماله وأسبغ عليها الكثير من فيض رعايته .

### آراء لخير الأزهر :

على أننا مع تقديرنا لبذل في الأزهر من عناية وبخاصة في العهد الأخير ، نرى أن هناك نواحي كثيرة لا زالت تنقص إلى علاج ، نورد هنا مخلصين ومقسطين ، فالأزهر باعتباره جامعة عالمية ها مكاتها السامية ينقصه :

أولا — الروح الجامعية . وخلق هذه الروح منوط بإدارة الأزهر اذ عليها أن تمهد سبيل الاتصال بين الطلبة والمدرسين بإعداد محاضرات يلقيها أساتذة الأزهر وبعض ذوى الرأي من مصريين وغير مصريين في كل ما يهم الطالب الجامعي من أسباب الثقافة العامة ، وأن تنظم الحفلات لتوزيع الإجازات العلمية على الطلاب ولاستقبال ذوى الشخصيات الكيرة من المسلمين الأجانب والمستشرقين الذين يقدون إلى هذه البلاد . وإلى أن تبنى قاعة الاحتفالات يمكن اتخاذ مقر جمعية اسلامية كالشبان المسلمين مثلا مركزا لنشاط الأزهر الثقافي . كذلك ينقص الأزهر بكامة اتحاد يشرف على ناد يختلف اليه الطلبة ويكون واسطة للتعارف بينهم وبخاصة لأن منهم أغرابا يحتاجون إلى توثيق الصلات بإخوانهم المصريين . وليظم هذا الاتحاد رحلاتهم إلى داخل البلاد وإلى الخارج وبخاصة إلى الاقطار الشرقية .

ثانيا — أن يعنى بتنمية الروح الرياضية في المعاهد والكليات فتمتد أدوات الرياضة ويدرب الطلبة وتنظم الفرق في مختلف فنون الرياضة ، ليكون لطلبة الأزهر نصيب في المباريات لدورية وخاصة أنهم أثبتوا في حركة التدريب العسكري نشاطا يذكر وكفاءة تشكر .

ثالثا — لكي تمتشى الجامعة الأزهرية في نشاطها الثقافي والرياضي مع مقتضيات العصر وتقتبس من كل جديد ما يفيد ، نرى أن توكل نواحي النشاط المدرسي فيها إلى الأساتذة الذين أوفدوا في بعثات إلى أوربا ، فهؤلاء أصنع لرعاية التجديد والأخذ بأسباب الإصلاح ، وأن يكون هناك اتصال دائم بالأخصائيين برجال المعارف وجامعة فزاد الأول .

رابعا — أن تضاعف العناية بخدمة الجامع والأروقة سواء بزيادة الخدم أو بالتشديد عليهم حتى لا تنفع عين الزوار ، وهم كثيرون وجلهم من الأجانب ، إلا على كل مرتب

ونظيف، وأن يعنى بإزالة الأروقة ومساكن الطلبة، وأن تطلى جدرانها في أوقات متقاربة وأن يكلف الخدم تنظيفها لا أن يترك الأمر للطلبة ، فنظامه المكان أمام الزائر الأجنبي تريد عزتنا وترفع من كرامتنا .

وأما الأزهر كمركز للدعوة الإسلامية في العالم فيحتاج للنهوض برسالته الى أسباب :  
الأول — زيادة الاهتمام بإيفاد البعث من علماء الأزهر الى البلاد النائية لنشر الدعوة الإسلامية وخاصة في آسيا وأواسط وجنوب أفريقيا . ففي هذه الاصقاع يلحق الاسلام إقبالا كبيرا ويكفى للتدليل على ذلك أن نشير الى ما ذكره الأستاذ شميتز (Schmitz) في كتابه "الاسلام في الهند" من أن الاقبال الذي يلقاه الاسلام في هذا العصر في أفريقيا وفي آسيا منقطع الظير حتى أنه لم يدع مجالا لدين سواه هناك .

ونحن لانعرف أن الأزهر مندوبين في أفريقيا إلا مبعوثه في مسجد جوبا بجنوب السودان، على أن هذا المبعوث الواحد قد تمكن من الحصول على نتائج باهرة في الدعوة التي يقوم بها .  
الثاني — أن يستعين الأزهر أيضا في الدعوة بجهود الغرباء من طلبته عند مودتهم الى بلادهم وخاصة أبناء نيجيريا والسودان والهند والتركستان والصين وبولندا ، وأن تكون إدارة الأزهر على اتصال دائم بالطلبة بعد رجوعهم الى أوطانهم ليطعنوها على مبلغ جهودهم .

الثالث — أن يكون تدريس اللغات الأجنبية إجباريا في جميع كليات الأزهر لا اختياريا كما قضى بذلك قانون عام ١٩٣٦ الذي لا يلزم بها إلا طلبة كلية أصول الدين ، فاللغات مفتاح كل ثقافة .

الرابع — أن تصدر أعداد خاصة من مجلة الأزهر ولو مرة كل عام باللغة الانجليزية أو الفرنسية وترسل الى الجامعات الأوروبية والأمريكية لتعرف الشبهة المستنيرة هناك شيئا صحيحا عن الأزهر وعن الاسلام ، ولا نرى ما يدعو لوجود المزمرة الانجليزية التي تطبع في كل عدد إذا أصدر العدد الخاص .

### قوام الإصلاح :

إن تعليم ما يقرب من الأربعة عشر ألف طالب والنهوض برسالة ثقافية ودينية من جامعة لها مكانها الأسمى في جميع الأقطار وإمامة الحركة الفكرية الإسلامية في العالم كل ذلك يتطلب المال . لذلك نرى لزاما علينا إذ نعرض لإصلاح الأزهر أن نتوجه الى أولى الشأن في البلاد راجعين العمل على زيادة موارد الأزهر وإمداده بالمال ليقوى على النهوض برسالته وليسير في طريق التجديد بما يرفع شأن مصر ويعلى قدرها بين أمم الأرض .